

مناسك الحج ودلالاتها الفلسفية.. بين رداء الإحرام وكفن الآخرة



علم الدين
مصرع مؤسس ورئيس
الجامعة الإسلامية

مع اقتراب عيد الأضحى المبارك، تحل أيام التشريق المباركة، ويهفو حجاج بيت الله الحرام نحو جبل عرفات لأداء مناسك حج التمتع. هناك، تكتسي العبادة أبعاداً روحية أعمق وهي تجري على وقع دعاء عرفة الخالد للإمام الحسين؛ ذلك الدعاء الذي يربط شعائر الحج بعمق الثوراة الحسينية.

وفي تلك الأجواء الإيمانية، تلهج السنة الحجاج بالنداء والتضرع، مستحضرين حقيقة كبرى: «يا أبا عبد الله، لولا خروجك في ذلك اليوم التاريخي لحفظ قيم الدين، لما بقي للإسلام الأصيل، ولا للحج الحقيقي، ولا للصيام والصيام رسم ولا أثر، فكل هذه العبادات إنما استمدت ديمومتها من اسمك ومن ثورتك المباركة».

قبل الدخول إلى أرض العرفان والمعرفة في عرفات، واقتداءً بنهج خليل الله إبراهيم؛ وتلبية لأوامر الرسول الخاتم محمد؛ الذي أحيا وأقر مناسك الحج الإبراهيمي في حجة الوداع؛ يتعين على الحجاج خلع زينة الدنيا وثياب التفاخر والتميز، ليرتدوا رداء الآخرة بقلوب خاشعة ملبية.

في هذه المرحلة من حج التمتع، يرتدي الرجال رداءين أبيضين غير مخيطين، وتكتسي النساء بالبياض، دون الحاجة للذهاب إلى المواقيت الخارجية؛ للإحرام هنا ينطلق من قلب مكة نفسها، وثمة حكمة بالغة في الإحرام من داخل مكة؛ فالبيت إنما يفتح لأهله، وحين يخلص المرء في تعلقه بالبيت ويصبح

وكيف قاد ابنه إسماعيل إلى مذبح التضحية مستسلماً للقضاء، ومستذكراً في الوقت ذاته ثبات إسماعيل وبقيته وهو يقول: «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ».

ينطلق الطواف من الحجر الأسود- تلك الآية الإلهية على الأرض- ليتمة الحجاج أشواطهم السبعة وسط أجواء قد يشهد فيها الهجير والزحام؛ لكنها تؤوّل في النهاية إلى بئر زمزم العذب، ليُسلم الحاج على إسماعيل الذي لم يُذبح، ليخرج من نسله الطاهر الرسول الخاتم محمد؛

من جملة أهله، يُؤذن له أن يبدأ رحلته من جواره. أمّا في المرّة الأولى (خلال العمرة المفردة)، وحينما كان المرء لا يزال غريباً عن الدار، جاء الأمر الإلهي بالإحرام من مواقيت بعيدة خارج حدود الحرم، وكشرط لترزح علائق الدنيا المادية، وارتداء رداء أشبه بالكفن، يخلو من أي دلالة على منصب أو جاه أو رتبة اجتماعية، ليتساوى الجميع في محضر الرب الجليل. وحين ينال العبد شرف الدخول ويؤدي سجدة الشكر على هذا الإنعام، يُشرع له الطواف بالبيت العتيق، تليها صلاة الطواف خلف مقام النبي إبراهيم؛ بقلب مطمئن؛ مستحضراً كيف تجاوز خليل الرحمن شتى الابتلاءات الإلهية،

غنيه عن الحاجة إلى الآخرين. في هذا المسار العبادي الممتد، وحين يستذكر الحاج بوجوده الأب والابن (إبراهيم وإسماعيل)، يبرز دور الأم جلياً؛ وهو دور لا يقل شأنًا وعظمة عن دور الزوج والابن. فالمرء يؤدي السعي بين جبلي الصفا والمرورة اللذين جُعلا من شعائر الله، استذكراً وتخليداً لركض السيدة هاجر، أم إسماعيل، التي لم تقط رؤية عطش وليدها، فكانت تهزول بين الجبلين تتبع السراب علها تجد ماءً تروي به طفلها. وكم هو بليغ ومبارك ذلك السعي؛ إذ إن ركضها لسبع مرّات قد أتى أكله، فنبعت من تحت قدمي إسماعيل عين فوّارة من تدفّقها تسعت أرجاؤها، وبقيت بركة هذا النبع الإلهي تفيض إلى الأبد، ومهما عُرف من مائه فلن ينضب، وغدت بركته دائمية مستمرة لأهل الأرض قاطبة إلى قيام الساعة. إن مناسك الحج تعيد صياغة الوجود الإنساني؛ فبعد السعي بين الصفا والمرورة- تخليداً لركض السيدة هاجر بحثاً عن الماء لولدها- يُسمح للحجاج بالتقصير، عبر قصّ شيء من شعر الرأس أو الأظفار؛ لينحلى بذلك عن إحرامه ويصبح «مجتلاً»، ويخلع لباس الإحرام، ثم يُباح للحجاج الإقامة في رحاب مكة المكرمة كبدل آمن. وهنا تكتسب

باتنها هذه المناسك لا يعود هناك مجال للتقصير أو الغفلة، فالذي عاهد ربه في هذه المواقف العظيمة ونال صك الغفران، يغدو إنساناً رسالياً، يترفع عن الدنيا، ويتحرك في المجتمع كعبد صالح يسعى لإحراق الحق وبث الخير، محصناً بنور الحج الذي لا ينطفئ.

إقامته صفة الاستقرار، فتغلو صلواته كاملة غير مقصورة، لأنه لم يعد في حكم المسافر، بل أصبح في بيته ومستقره. ومع حلول اليوم الثامن من ذي الحجة، تبدأ مرحلة مغايرة تماماً؛ فبعد أن كان الدخول في المرة الأولى يتطلب الإحرام من خارج مكة، بات الانطلاق الآن من عمق البيت نفسه، حيث يُؤذن له من باب قوله تعالى: «ادْخُلُوا إِسْلَامَ آمِنِينَ».

فبعد أن يرتدي المرء لباس الآخرة في البيت، ويفرّ ويعترف بأنه -بمحض إرادته وباختياره- قد نزع في بيته لباس الدنيا ذي العلامات والاعتبار المادي، وارتدى رداء الآخرة، يكون على أهبة الاستعداد لتنفيذ مناسك وأحكام الحج. وحين يختار الطريق ويرتدي لباس العبودية، يُمنح الإذن بالتلبية وأخذ الإذن المتجدد: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شريك لك لَبَّيْكَ». ومع النطق بالتلبية عقب عقديّة حج التمتع، تحرم على الحاج محرمات الإحرام؛ ومنذ تلك اللحظة يصير محرماً، وتجب عليه أعمال وتُلقى على عاتقه فريضة كبرى. ومن المسجد الحرام ومن جوار الكعبة المشرفة، يخرج الحاج مرتدياً رداء الآخرة (الإحرام) متوجهاً نحو صعيد عرفات. هنا المسار يحمل دلالات عميقة؛ وعادة ما يُنقل الحجاج إلى عرفات قبل ليلة واحدة (ليلة التاسع) ليتسنى لهم الاستعداد الروحي والنفسي بشكل أكبر، بيد أن الأعمال والإقامة الفعلية في أرض العرفان والمعرفة هذه تبدأ من زوال شمس اليوم التاسع من ذي الحجة، حيث يتوجب على الحاج المبيت والوقوف في هذه الأرض ليحصل إلى كنه المعرفة. وفي هذا الجبل، يكون لباس الجميع أبيض ناصعاً، وكأنهم جميعاً مرتدون وكأن قد حُشروا صبغاً واحداً اليوم القيامة والنشور. وحينها يتذكر المرء القيامة وأهلها في أرض عرفات، ويبكي على الإمام الحسين؛ الذي غادر هذه الأرض لتبقى عزيزة مصونة شامخة.

وفي عرفات، حيث يمتزج العرفان بالدموع والاستغفار، يُبئص الصحائف وتُغفر الذنوب أو الأثام لأقدسية المكان، ليعود المرء طاهراً كاليوم الذي ولدته فيه أمه، شريطة أن يكون المرء قد تحلل من مظالم العباد وحقوق الناس، وهي التبعة

من «التحرير» إلى «التحرير الثالث»..

قراءة سياسية في أقوى خطاب للشيخ نعيم قاسم

الناطق
د. كرم رشق

التاريخية. فالشيخ قاسم لم يتحدث عن الحزب كتنظيم منفصل، بل أعاد وصل المسار المقاوم بالإمام السيد موسى الصدر (أعاده الله سالماً)، ثم بالإمام روح الله الخميني (قدس الله سره)، وثم بالإمام القائد السيد علي الخامنئي (قدس الله سره)، ومن ثم الشيخ راجب حرب إلى السيد عباس الموسوي إلى الحاج عماد مغنية وصولاً إلى الشهيد الأسرى السيد حسن نصر الله، وهذا الربط لم يكن عاطفياً فقط، بل محاولة لتثبيت أن المقاومة ليست رد فعل ظرفياً، بل مشروعاً ممتداً ومترابطاً تاريخياً وعقائدياً وشعبياً.

ثلاثية «الجيش والشعب والمقاومة» توديقاً

إن استحضار الخطاب للرئيس المقاوم إميل لحود والأخ الأكبر الرئيس نبيه بري والرئيس الراحل سليم الحص في حماية خيار المقاومة سياسياً لم يكن تفصيلاً بروتوكولياً، بل رسالة بأن المقاومة لم تكن يوماً مشروع فته معزولة، بل جزءاً من معادلة «الجيش والشعب والمقاومة» التي أنتجت تحرير عام ٢٠٠٠، معتبراً أن هذا التحرير كان ثمرة هذا التكامل لانتجته عمل منفرد. وهنا يوجه الخطاب رسالة واضحة: أن المقاومة لا تعتبر نفسها خارج الدولة، بل ترى أن اللخلل يكمن في تبديل موقع السلطة الحالي مقارنة بموقعها السابق.

من «العجز» إلى «التواطؤ»: إسقاط شرعية المسار الحالي

التحول الأخطر في الخطاب كان في اعتباره أن السلطة اللبنانية انتقلت من موقع «العجز» إلى موقع «التنازل»، ثم إلى موقع «تجريم المقاومة». وهذا تطور بالغ الدلالة، لأن الخطاب لم يعد يكتفي بانتقاد

الأداء الحكومي، بل بدأ يطعن بشريعية المسار السياسي القائم نفسه، خصوصاً عندما قال: «إذا كانت هذه الحكومة عاجزة عن تحقيق السيادة فلترحل».

وهنا انتقل الخطاب من مستوى الاعتراض إلى مستوى التحدي السياسي المباشر، وربط بين القرارات الحكومية وبين ما وصفه بـ «المشروع الأميري- الصهيوني»، وهذا يعني أن الحزب بدأ ينظر إلى المسار الرسمى الحالي بوصفه جزءاً من معركة الصراع، لا مجرد طرف ضعيف فيها.

«نزع السلاح بإرادة»: نقل الصراع إلى البُعد الوجودي

شك: «نزع السلاح بإرادة».

هذه الجملة تختصر الرؤية الكاملة للحزب في المرحلة المقبلة. فالمسألة لم تعد تُقدّم كخلاف داخلي حول الاستراتيجية الدفاعية، بل كتهديد وجودي يستهدف البيئة المقاومة سياسياً واجتماعياً وأمنياً. وعندما يتحول السلاح من أداة دفاع إلى «شرط بقاء»، يصبح أي نقاش حوله بالنسبة للحزب نقاشاً حول الحياة والموت، لا حول السياسة فقط.

إسقاط شرعية المفاوضات المباشرة

في البُعد السياسي، شَرّ الخطاب هجوماً واضحاً على خيار المفاوضات المباشرة، مستعيداً تجربة اتفاق ١٧ أيار بوصفها نموذجاً للفشل والتبعية. ولذلك جاءت عبارته الشهيرة: «اضربوا عنجعة على الولايات المتحدة».

«التحرير الثالث»: أخطر إعلان سياسي

ربما كانت العبارة الأشد دلالة هي قوله:

مباشرة مع العدو هو رهان خاسر وأن تقديم التنازلات لا ينتج حماية للبنان بل مزيداً من الضغوط.

وفي هذا السياق، بدأ الخطاب وكأنه يعلن انتهاء مرحلة «الانتظار الدبلوماسي»، خصوصاً مع قوله إن ١٥ شهراً من الدبلوماسية لم تحقق شيئاً.

الجنوب كمصنعة لإعادة إنتاج الردع

من أهم ما كشفه الخطاب أيضاً إعادة تثبيت معادلة القوة الميدانية. فعندما قال إن العدو جاء بـ ٩٠ ألف جندي وضابط «ولم يصل إلى النسق الأول»، كان يوجه رسالة مزدوجة:

- للداخل اللبناني بأن المقاومة مازالت تملك القدرة العسكرية

- للخارج بأن أي محاولة فرض وقائع بالقوة ستواجه بفشل استراتيجي وهذا يتقاطع مع عبارته: «لن نركع حتى لو أبطقت الدنيا علينا»، وهي عبارة تؤسس لمرحلة «الصمود الطويل» لا لمرحلة التسويات السريعة. فالخطاب لم يكن دفاعياً فقط، بل حاول إثبات استمرار فعالية الردع الميداني. فعندما تحدث الشيخ قاسم عن خسائر الاحتلال وعن عجز عشرات آلاف الجنود عن تحقيق التقدم، كان يريد تثبيت معادلة أن المقاومة مازالت قادرة على فرض الكلفة على العدو رغم كل الظروف. كما أن توصيفه لما يجري في الجنوب بأنه «بداية لزوال إسرائيل» يعكس انتقال الخطاب من منطق الدفاع عن لبنان إلى منطق التحول الإقليمي الأوسع.



٨ أيار 2026 م
8 ذو الحجة 1447 هـ

«سنعلن التحرير الثالث قريباً إن شاء الله». فهذه ليست مجرد عبارة تعبوية، بل إعلان بأن الحزب يعتبر أن ما يجري اليوم هو امتداد لتحرير ٢٠٠٠ وانتصار ٢٠٠٦، وأن المرحلة المقبلة ستؤسس لتحول استراتيجي جديد.

الحرب الاقتصادية جزء من المعركة

اللافت أيضاً أن الخطاب وسّع مفهوم المواجهة ليشمل الاقتصاد والمجتمع، خصوصاً عبر الدفاع عن جمعية القرض الحسن واعتبار استهدافها جزءاً من مشروع أميري- صهيوني لإضعاف البيئة الحاضنة للمقاومة. وهذا يؤكد أن الحزب بات يتعامل مع العقوبات والإجراءات المالية بوصفها امتداداً للحرب العسكرية نفسها.

فلسطين وإيران: تثبيت محور المعركة

في القسم الإقليمي من الخطاب، أعاد الشيخ قاسم تثبيت فلسطين كـ «بوصلة»،

وربط صمود غزة بالواجهة الكبرى في المنطقة. كما قدّم إيران بوصفها النموذج الذي يواجه الهيمنة الأميركية والصهيونية، معتبراً أن صمودها سيمتدحها مكانة دولية أكبر. وهنا يتضح أن الخطاب لم يكن لبنانياً صرفاً، بل خطاب محور إقليمي كامل يعيد ترتيب أولوياته بعد الحرب.

خطاب تأسيسي لمرحلة جديدة

يمكن القول إن هذه الكلمة هي الأقوى والأكثر وضوحاً منذ تولي الشيخ نعيم قاسم الأمانة العامة، لأنها جمعت بين: -إعادة الشرعية التاريخية للمقاومة - إسقاط شرعية الضغوط الداخلية والخارجية -تثبيت معادلة الردع -رفض المفاوضات المباشرة - إعلان الاستعداد لمواجهة طويلة ومفتوحة -ولذلك، بدأ الخطاب وكأنه إعلان رسمي عن دخول لبنان والمنطقة مرحلة سياسية جديدة عنوانها: «الصراع لم يعد على النفوذ فقط، بل على شكل لبنان ومستقبل المنطقة بأكملها».. إن لبنان القوي المقاوم، أو مشروع إعادة تشكيل لبنان وفق الرؤية الأميركية- الصهيونية.

الخطاب قدّم إيران بوصفها النموذج الذي يواجه الهيمنة الأميركية والصهيونية، معتبراً أن صمودها سيمتدحها مكانة دولية أكبر، وهنا يتضح أن الخطاب لم يكن لبنانياً صرفاً، بل خطاب محور إقليمي كامل يعيد ترتيب أولوياته بعد الحرب